

هل من اتحال في الأدب الانكليزي ؟

للسيد جريس القسوس

- ٢ -

(فن) يرجع في نسبه إلى نحو ١١٠ ق. م. وأن اسم Fene ورد في قصيدة نظمت سنة ١٠٢٤ ، وضُمت كتاب باليوت Ballymote سنة ١٣٩١ . أقول إن كامبل ردّ على ذلك ردّاً عنيقاً مبيّناً تناقض الروايات المختلفة واضطرابها في تحديد نسب هؤلاء الأبطال وتبيان التاريخ الصحيح لنشأتهم . فبعض أنصار مكفرسن - ومعظمهم إيرلنديون - يرون مثلاً ، أن هذه الأشعار الغالية صيغت في مخطوطات قديمة ، وأنها تنسب إلى أوشان وغيره من أبطال أساطير إيرلندا الأولية ، وأن جميع هؤلاء الأبطال إيرلنديون لا اسكوتلنديو الجنس ، بينما البعض الآخر يرى أن هؤلاء الأبطال نشأوا في عصر متأخر . بل منهم من يحمل (فن) اسكتلندي الجنس ومنهم من يجعله انكليزياً

وآخرون يرون أن البطل أوسكار الوارد ذكره في الأدب الايرلندي القديم اسكوتلندي الجنس والمولد ، بل غيرهم موقنون أنه دُمركي رغم ورود اسمه في الأدب الايرلندي ويزيد موقف الناصرين وهنا واضطراباً ، نسبهم الأعمال الجسيمة الباهرة التي قام بها أشخاص هذه الآثار الأدبية إلى الكائنات النسيية كالجن والآلهة المتعددة

ولا يقتصر كامبل على هذا بل يعود إلى مهاجمة الناصرين من ناحية أخرى ؛ فيقول إنه لم يطعم ، في حياته ، على مخطوطة أو سجل تاريخي فيه ذكر لملكة (مورفن) Morven أو ملكها فنغال . فن أين جاء مكفرسن بهذه الأسماء التي تتخلل معظم أشعاره ؟ ذلك مما يحمله على الاعتقاد الأكيد بأن هذه الملكة إنما هي من اختلاق جامع هذه القصص الأوشانية وصرتها ، مكفرسن كان أم غيره

أما أوشان بن فنغال الشاعر الذي عزا إليه مكفرسن نظم الآثار الأدبية المعروفة باسمه ، فأسمه ، كأمر والده غامض مهم إذ لا يمكن أن يصر أوشان - مسلمين جداً أنه حقاً ابن (فن) - إلى حدّ من الزمن يتمكن معه من الاجتماع بالقدّيس باريك St. Patrick ، أو أن يختلط بنساء الجن في بلاد الشباب ، ويتحوّل في شتى أدوار حياته من نبي إلى ساحر ومن ساحر إلى شاعر ، وها هو جراً ، كما هو ظاهر في الآثار الأدبية المنسوبة إليه . وبالخلاصة أن كل ظاهرة في حياة هذا الشاعر تدلّ دالة

وحجة كامبل في ذلك اكتشافه مخطوطات قديمة ورد فيها ذكر (فن) و «أوشان» وغيرها من الأسماء الواردة في منظومات مكفرسن ، مما يدلّ على أن هذه الأسماء كانت ، على الأقل ، شائعة معروفة في اسكوتلندا وإيرلندا الشمالية قبل مجيء مكفرسن . فلا يبعد أن يكون مكفرسن قد اطلع على هذه المخطوطات فأغرم بحوادثها التاريخية واقتنن ؛ فعلق بذهنه ما علق وتأثر بأسلوبها الشعري واقتبس منها بعض الشيء فظهر أثر ذلك في تلك المنظومات التي ادعى أنها مترجمة

وكامبل لا يجحد لمكفرسن فضله في جميع هذه الآثار المتفرقة وترتيبها وتدوينها حتى ظهرت بذلك الشكل الفني الرائع ، إذ لولاه لعبت الزمان بهذه الآثار الخالدة عبثه بغيرها من القصائد التي تروى على ألسنة العامة ، وخاصة أهل الأرياف ، وسكان الصحراء

ولا يقف كامبل عند هذا الحدّ في الردّ على جونسن ، بل يرى أنه من النادر أن تلقى واحداً من سكان إيرلندا الشمالية لم يسمع قط بالأسماء التي وردت في قصائد مكفرسن ؛ وأن هذه الأسماء هي في الحقيقة محور عدد غير يسير من القصص العامية التي يتلوها الأسماك على أطفالهن حول المواقد في ليالي الشتاء الباردة ويصرف كامبل جونسن ، ويعود إلى مناقشة الآراء السخيفة التي يتمسك بها أنصار مكفرسن ، وخاصة بروفسور أوكري Prof. O'Curry ؛ فهذا وغيره من أنصار مكفرسن يرون أن (أوشان) وغيره من الأبطال شخصيات تاريخية حقيقية ، وأنهم إيرلنديو النسب ؛ نشأوا في القرن الثالث قبل المسيح ؛ وأن

- ١ - أن قصيدة أوسيان أو أوشان التي تنسب إلى مكفرسن لم تكن ترجمة خالصة من الآثار الأدبية الأصلية
 - ٢ - أن مكفرسن استخلص منظوماته من آثار أدبية قديمة متفرقة ، وذلك بالجمع والفردلة والحذف والتعديل ، وخلع عليها ثوباً جديداً كفل لها الخلود في عالم الأدب
 - ٣ - أن جميع الظواهر تدل دلالة واضحة على أن مكفرسن لم يضع هذه الآثار الأدبية من عنده ، وأنه لم يتعد كونه فناناً حاذقاً عرف كيف يستخرج من أمزجة ومركبات عتيقة بالية قطعاً فنية رائعة ، وأن أوشان نفسه لم يكن المؤلف الحقيقي لهذا القصائد كما ادعى مكفرسن
 - ٤ - إذا كان أوشان ناظم هذه القصائد ، عُدَّ بحق في طبيعة شعراء العالم على الإطلاق
 - ٥ - أن مكفرسن فتح بذلك فتحاً جديداً في عالم الأدب ، فعمت شهرته الأدبية أوروبا وبمد أثره في الأدب الأوروبي عامة ، والانكليزي والألماني خاصة
- (يتبع)
- ميريس القوس

لجنة التأليف والترجمة والنشر

أخرجت لجنة التأليف والترجمة والنشر كتاب علم الآثار تأليف الأستاذ جاردنر ونمريب الأستاذ محمود حمزة أمين بالتحف المصري والدكتور زكي محمد حسن أمين دار الآثار العربية

وهو الرسالة الرابعة من خلاصة العلم الحديث ، استعرض فيها المؤلف تاريخ علم الآثار والتأثير التي وصل إليها النقبون وعلماء الآثار في العصر الحديث . وقد أطل في تاريخ دراسة الآثار اليونانية ، وألم المامة بأحدث الاستكشافات في القطر المصري وبلاد ما بين النهرين . والكتاب طريف في اللغة العربية لقلة ما كتب بها في هذا الفن

والكتاب يقع في ١٨٣ صفحة من القطع المتوسط ، وثمنه ستون ملياً ، ويباع في دار اللجنة رقم ٩ شارع الكرافسي بمبايدن وفي المكتاب الشهيرة

صريحة واضحة على أنه لم يكن في الحقيقة إلا من بعض آلهة الأساطير السكتية القديمة

ولا يقف كامبل عند هذا الحد ، بل يهاجم أنصار مكفرسن من ناحية أخرى . فهو يرى ، من مقابلة هذه المنظومات التي ادعى أنها مترجمة مع غيرها من الأشعار المتحدرة عن طريق الرواية والنقل الشفهي أن هناك اختلافاً وبقاً كبيرين وواضحين في الموضوع واللغة . فسا (فن) كما هو مذكور في القصائد التي تتناولها العامة إلا بطل إنساني الخلق ، ودع الطبع سهله ، رقيق الاحساس ، ولطيف النفس ؛ لا يعرف العنف والكبرياء ، فهو لذلك ذو نفوذ في قبيلته ، تقوم سلطته على حبهم له وتعلقهم به ، بينما الناظر في صفات (فن) كما جاء في شعر مكفرسن يرى أنه فارس ساطع غشوم ، وجههم عنيف ، خلو من كل عاطفة رقيقة وإحساس لطيف ؛ لهذا كان نفوذه وسلطانه مبنيين على خشية القوم له ورهبتهم منه

هذا ، عدا أنه لا ذكر في القصائد المنقولة شفاهاً لملكمة (مورفن) التي ورد ذكرها في أشعار مكفرسن

أما من ناحية اللغة والأسلوب فالباحث في هذا الأدب في كلتا سبيليه : سبيل الرواية والنقل الشفهي ، وسبيل مكفرسن ، يرى أن لغة أدب مكفرسن مفعمة بالتمايز الحوشية ، والاصطلاحات الأجنبية التي تتميزها من اللغة المعروفة في سكوتلندا الشمالية ، بينما لغة أدب الرواية والنقل الشفهي محكمة السبك ، موحدة التركيب متسقة الأسلوب ، لا اضطراب في معانيها ولا ضعف وخلاصة رأى كامبل أنه لم يكن في اللغة التالية أشعار كالتى ادعى مكفرسن أنها مترجمة ، وأن هذه اللغة التي استعملها في كتاباته لم تكن في الحقيقة إلا لغة القرن الثامن عشر ، وجل ما هنالك مجموعة أشعار قديمة وحديثة متنوعة ، كانت العامة تتداول معظمها بينها ، جمعها مكفرسن ورتبها وسواها بشكائها المعروف ، شأن المهندس الذي يخلق من البيت الأغريق القديم بيتاً حديث الشكل والطرارز

— ٤ —

والباحث يخرج من كل ماسم بمخمس حقائق مجردة ، هي زبدة ما وصل اليه مؤرخو الأدب الانكليزي في هذا السبيل الوعر الشاق :